مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الانسانية)، مجلد ٢٥(٨)، ٢٠١١

الاختيار المعجمي لألفاظ الجنة في سورة الرحمن، قراءة لسانية اجتماعية

The Lexical Selection of Heaven's (Al-Jannah) Terms in Surah Al – Rahman: A Sociolinguistic Approach

عبير نجار

Abeer Najjar

قسم العلوم الأساسية، كلية الأميرة عالية الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن

بريد الكتروني: najjarabeer@yahoo.com

تاريخ التسليم: (٢٠١١/٢/٩)، تاريخ القبول: (٢٠١١/٩/٢٧)

ملخص

تسعى الدراسة للإجابة عن سؤال المعجم الخاص بوصف الجنان الوارد ذكرها في سورة الرحمن، فقد عرض الله سبحانه وتعالى تفصيلاً تمثيلياً لجنان أربعة في سورة الرحمن؛ جنتين أخبرنا عن صفاتهما أولا، وجنتين أخريين أخبرنا عن صفاتهما ثانيا- مع تأكيد من قبله عزّ وجلّ على أنّهما أقل مرتبةً ومكانةً- ووضح الله سبحانه هذه الصورة التمثيلية من خلال معجم خاص، جاء متشابها في صورته العامة ومختلفاً في صورته التفصيلية بين الجنتين في السياق التركيبي الأول والجنتين في السياق التركيبي الثاني. وستتخذ الدراسة من المرجعيْن: البنيوي الداخلي؛ الذي يقرأ الاختيار المعجمي من خلال بنية السورة الداخلية، والثقافي الخارجي الذي يقرأ الاختيار المعجمي من خلال ثقافة العرب زمن التلقي الأول للنص القرآني، مرجعيها الرئيسين في التفسير.

Abstract

This study seeks to find answers pertaining to the unique lexical choices in describing Heavens /Gardens "Al-Jinan" in the Quranic Surah "Al – Rahman". In this Surah, a detailed, descriptive representation of four Heavens is employed via a distinguished lexicon that appears very similar for the four Heavens in general, but very different when it comes to details of the structural context of the two heavens depicted first and represented of lower rank, in comparison with the second two. The research adopted two parameters of analysis in an attempt to explaining the lexical selection of language that describes Heavens in Al – Rahman. First, the internal structure of the Surah; second, the extra-linguistic and cultural context of the Arbas in the time span of the Quranic Surah.

المقدمة

ترتسم في أذهان الجميع صورة خيالية للجنة تستمد خيوطها من جماليات الواقع وحضوره في الأذهان، وبالتّوقف عند وصف الجنة في القرآن يجد المرء نفسه أمام عالم مضيء ومشرق ومملوء بملذّات الحياة؛ من تصوير للأشجار، ولعيون الماء، وللمأكل، والملبس، والمشرب، والنساء والحليّ، والمتكأ.

واختيرت مفردات وصف الجنة في القرآن؛ لمناسبة الطبيعة الإنسانيّة بعامة، والطّبيعة الاجتماعيّة والثقافيّة للعربيّ بخاصّة؛ فنعيم الجنة غير معروف لنا (١)، ولكنّ الله تعالى أراد أن يحببنا فيه فرسم لنا في النص القرآني صورة تمثيلية(٢) نفهمها عن هذا النعيم(٣)، فالجنة {**ليس كمثلها شيء**} - كما أوضح الله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم - ،ومعلوم أنّ اللفظ في اللغة لا بد أن يوضع لمعنى معروف؛ لذلك عندما حدثنا الله عزّ وجلّ عن نعيم الجنة حدّثنا بكلام نعرف معانيه (٤). وما هذا كلّه إلاّ لإذكاء الرّغبة لدى المتلقي لتحقيق هذا النّعيم العظيم، ومعلوم أنّ العربيّ في العصر الجاهليّ هو المتلقي الأول للخطاب القرآني؛ لذلك جاءت الأوصاف التمثيلية للجنة منسجمة وفكره وثقافته وبيئته في ذلك الوقت من الزمن.

كما أنّ ألفاظ الوصف جاءت منسجمة ومتلائمة مع وحدة السورة التركيبيّة التي ورد فيها؛ فالألفاظ في القرآن تتميز بدقة اختيارها، ومطابقتها للمعنى، وتمكنها في موضعها في جملتها، ولها مع صاحباتها مقام، وتستعمل دقيقة الدّلالة... وليس ذلك أمراً اعتباطيّاً، بل يرجع إلى سبب من الأسباب له علاقة مباشرة بسياق السّورة التّركيبيّ، أو الدّلاليّ، أو المقاميّ؛ فالجرجاني يقول: "أعجزتهم مزايا ظهرت لهم"(٥)، ويقول الخطابي: "إنّما الكلام... لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشّرف والفضيلة حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد

---

(١) يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة: "فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطرعلى قلب بشر"، ينظر: النيسابوري، "محمد بن عبد الله"، **المستدرك على الصحيحين**، ط٢، مصطفى البابي، القاهرة ج٢، ص ٤٤٨.

(٢) يقول الله عز وجل: "مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار، أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين آمنوا وعقبى الكافرين النار" **الرعد** ٣٥.

(٣) محمد متولي الشعراوي، **صفات أهل الجنة وصفات أهل الجحيم**، ط١، ٢٠٠١، ص ٦٦.

(٤) **المرجع السابق**، ص ٦٦.

(٥) الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، ت ٤٧١هـ)، **دلائل الإعجاز**، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٨، ص ٣٩.

تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، أمّا المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها التي تشهد لها العقول في أبوابها والترقي إلى أعلى درجات الفضل في نعوتها وصفاتها"(١).

وفي هذه الدراسة سأسلط الضوء على صورة الجنة كما وردت في سورة الرحمن(٢)؛ لإضافة رؤية تفسيرية جديدة للمعجم تتخذ من جدلية العلاقة بين البنية التركيبية الداخلية للسورة التي ورد فيها الوصف والمقام الخارجي المرتبط بالبيئة العربية وثقافتها زمن التلقي الأول، مرجعيها في التفسير.

ولتحقيق هذه الغاية، انتظمت الدراسة:

بمقدمة - تبرز أهمية الدراسة - وفصلين:

الفصل الأول: القراءة البنيوية

- الاختيار المعجمي لمناسبة البنية التركيبية الداخلية للسورة
    - التلاحم بين بداية السورة ونهايتها
    - الانسجام بين مفردات الوصف

الفصل الثاني: القراءة الثّقافية

- الاختيار المعجمي لمناسبة الثقافة العربية

وخاتمة - تبرز أهم النتائج التي توصلت الدراسة إليها -.

الفصل الأول: القراءة البنيوية

الاختيار المعجمي لمناسبة البنية التركيبية الداخلية للسورة

اختيار معجمي لافت يطالعنا عند قراءة وصف الجنان في سورة الرحمن، ينحصر في سياقين، ضمن مشاهد كلية ثلاثة موضحة في الجدول الآتي بناء على ورودها في القرآن الكريم:

السياق التركيبي الأول	السياق التركيبي الثاني
مشهد الطبيعة	
*وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَا أَفْنَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ	* وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُدْهَامَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا

---

(١) الخطابي (أبو سليمان حمد بن محمد البستي، ت ٣٨٨هـ)، **بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، ط٣، دار التأليف، القاهرة، ١٩٥٣، ص ٣٨٨.

(٢) ينظر: **سورة الرحمن**: ٤٦-٧٨.

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ* فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *	تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *
مشهد المرأة	
* فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *	* فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *
مشهد المتكأ	
* مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ *	* مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *

وعند النظر في قراءة المفسرين لمعجم الجنان في سورة الرحمن، نجد أنهم التفتوا إلى أثر البنية التركيبية في الاختيار المعجمي، فحاولوا بيان أفضلية الجنتين في السياق التركيبي الأول من خلال المفارقة بينهما وبين الجنتين في السياق التركيبي الثاني(١) ؛ فأشاروا إلى أنّ جريان الماء أفضل من النّضخ، وأنّ النّضخ أفضل من النّضح، وأكّدوا على جمال الغصون الوارفة الظلال مقارنة بالأعشاب والرياحين، وألمعوا إلى أفضلية "كل" الفاكهة على الفاكهة المخصصة؛ النخل والرمان، وليس هذا فحسب بل التفتوا إلى أفضلية النساء في السياق الأول، مقارنة بالنساء في السياق الثاني، فهنّ قاصرات أي قصرن بصرهن تلقاء أنفسهن على أزواجهن، على حين كنّ في السياق الثاني مقصورات أي وقع عليهن فعل الفاعل، وغدون يتلألأن تلألؤ الياقوت والمرجان في السياق الأول، على حين كنّ "خيرات حسان" فحسب في

---

(١) للمرة الأولى فيما مر من سور القرآن تذكر الجنتان، والأظهر أنهما ضمن الجنة الكبيرة المعروفة، ولكن اختصاصهما بالذكر في هذا المقام، قد يكون لمرتبتهما، وسيأتي في سورة الواقعة أن أصحاب الجنة فريقان كبيران هما السابقون والمقربون، ثم نرى جنتين أخريين من دون هاتين، ونلمح أنهما لفريق يلي ذلك الفريق، وقد يكون هو فريق أصحاب اليمين، ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، م٦، ص ٣٤٤٥، وقيل جنتان للسابقين، وهم أصحاب الأنبياء، وجنتان للتابعين، ينظر: ابن أبي زمنين (أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين) ت ٣٩٩هـ، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: أبي عبد الله حسين بن عكاشة و محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ج٤، ص ١٢٨، وقيل جنة لخوفه وجنة لتركه شهوته، أو جنة لعقيدته وجنة لعمله، أو جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعصية، أو جنة يثاب بها وجنة يتفضل عليه بها، أو روحانية وجسمانية، أو جنة للسابقين وجنة لأصحاب اليمين، أو جنة للإنس وجنة للجن؛ لأن الخطاب للثقلين، ينظر: الشاذلي الفاسي، أبو العباس، أحمد بن محمد بن المهدي الحسيني، **البحر المديد**، ط٢، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢، ج٧، ص ٢٧٨، ونلاحظ كثرة تأويلات المفسرين لمعرفة لماذا اختار الله سياق المثنى للجنة هنا، وبالنظر للسياق التركيبي نجد أن خطاب المثنى في سورة الرحمن هو الخطاب الغالب؛ لخطاب الإنس والجن؛ لذلك جاء الحديث عن الجنان بسياق المثنى، ويجوز أن تكون التثنية مستعملة في هذا السياق كناية عن التعدد، وهو استعمال موجود في الكلام الفصيح وفي القرآن، منه قولهم: لبيك، وسعديك، ودواليك، وإتيان صيغة التثنية هنا لمراعاة الفواصل القرآنية السابقة واللاحقة، وعلى هذا فجميع ما أجري على سياق التثنية يراد به الجمع، ينظر:ابن عاشور" محمد الطاهر بن عاشور"، **التحرير والتنوير**، دار سحنون، تونس، ١٩٣٧.

السياق الثاني، ووضحوا الاختلاف في المتّكأ، وأكدّوا تميزه في السياق الأول من السياق الثاني، فبينما جاءت البطائن من استبرق في السياق الأول، جاءت على مثال فرش من الرفرف والعبقري الحسان في السياق الثاني(١).

وتوقفوا عند التلازم في البنية التركيبية بين بداية السورة ونهايتها، وأبرزوا أثر الإيقاع الموسيقي العام للسورة الذي يتسق من خلال تكرار توظيف {**فبأي آلاء ربكما تكذبان**} ومن خلال توظيف المقطع الصوتي "ان" في نهايات الآيات، وتوقفوا عند العدول عن توظيف ضمير المثنى واستبدال نون النسوة به في سياق الحديث عن المرأة، والتفتوا إلى تقديم الحديث عن مشهد المتكأ في سياق ذكر الجنتين في السياق التركيبي الأول وتأخير الحديث عنه في السياق التركيبي الثاني.

وكل هذه الرؤى السابقة تمثل دراسة بنيوية داخلية للاختيار المعجمي للجنة، وفي هذا الإطار سنفصل الحديث عن أثر البنية الداخلية للسورة في الاختيار المعجمي بالاستفادة من الرؤى السابقة والإضافة عليها؛ من خلال العناوين التفصيلية الآتية:

أولاً: التلاحم بين البنى التركيبية في السورة

أ. المناسبة بين بداية السورة ونهايتها

نلاحظ الملاءمة الدّلالية بين الابتداء والانتهاء في وصف الجنان حيث جاء الابتداء في وصف الجنتين في السياق الأول من خلال الآية: {**ولمن خاف مقام ربه جنتان**} وهاتان الجنتان ذكرتا في السياق التركيبي الأول؛ وهما الأفضل كما أكدّ الله عزّ وجلّ، وتكررت فيهما آية التذكير المستمر بنعم الله؛ {**فبأي آلاء ربكما تكذبان**}(٢) لإحياء روح الرغبة والخوف لدى المتلقي ثماني مرات، فالجنة في هذا السياق نعمة لا تضاهيها أي نعمة أخرى، وجاء انتهاء الحديث عنهما متسقا مع البدء من خلال سؤال تقريري مباشر مناسب لمقام السورة في عرض النعم {**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**}.

---

(١) ينظر: الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي) ت ٥٣٨هـ، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرازق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧ ج٤، ص ٤٥٢، البروسوي، (الشيخ اسماعيل حقي البروسوي) ت ١١٣٧هـ، **تفسير روح البيان**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١ ج٩، ص ٣٦٧، ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي) ت ٧٧٤هـ، **تفسير القرآن العظيم**، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٢، ج٤، ص ٢٥١، البقاعي (برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي) ت ٨٨٥هـ، ١٤٨٠م، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٩٨٢، ج١٩، ص ١٨٨.

(٢) كررت الآية إحدى وثلاثين مرة، ثماني مرات منها ذكرت عقيب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله، ثم سبع مرات منها عقيب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم وحسن ذكر الآلاء عقيبها لأن في سردها ودفعها نعما توازي النعم المذكورة، وبعد هذه السبع ثماني، ينظر: الكرماني "برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر" ت ٥٠٥هـ، **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**، تحقيق السيد الجميلي، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ص ١٨١.

أما بدء الحديث عن الجنتين في السياق الثاني {**ومن دونهما جنتان**}، فقد جاء متسقا مع الحديث عن الجنتين الأقل مرتبة، وجاء تكرار آية التذكير في النعم فيها بنسبة أقل من سياق ذكر الجنتين في المقام الأول؛ حيث كررت الآية سبع مرات، وجاء الإيقاع الأخير فيها تسبيحا باسم الجليل الكريم الذي يفني كل حي ويبقى وجهه الكريم، أنسب ختام للسورة، بوصفها وحدة كلية مترابطة، حيث ابتدأت السورة ككل باسم الرحمن، الذي انبثت منه جميع النعم(١).

ب. تقديم الحديث عن المتكأ في السياق التركيبي الأول

قدّم الله عزّ وجلّ الحديث عن المتكأ في السياق التركيبي الأول لوصف الجنان؛ لورود الحديث عن "الجنى الداني" فيه، وهذان اللفظان "الجنى الداني" مرتبطان دلاليا بلفظ أفنان الوارد في بداية وصف الجنتين؛ فالجنى: هو ما يجتنى من الشجر، ولفظ دان؛ يعني قريب(٢)، وأورد ابن الخطيب أن الثمرة في الجنة تتدلى إلى الإنسان، وهو متكئ، وتتحرك إليه وتدنو منه(٣)، وما هذا إلا لبيان نعيم الآخرة الذي يخلو من أي جهد مهما قلّ، فارتبط لفظ الجنى بالمتكأ، وهو مرتبط بصورة مباشرة بالأفنان.

فقدم الحديث عن المتكأ للقرب الدلالي التلازمي بينه وبين الأفنان، بينما جاء المشهد مختلفا في الجنتين في السياق الثاني، حيث قدم الحديث عن المرأة، وأخر الحديث عن المتكأ.

ج. مناسبة الألفاظ للسياق التركيبي الذي وردت فيه

جاءت الألفاظ في السياق التركيبي الأول منفتحة الدلالة عامة، بينما جاءت في السياق التركيبي الثاني محددة الدلالة خاصة.

والسبب الرئيس في هذه المفارقة موضح من قبل الله عز وجل عندما أشار إلى أن الجنتين في السياق التركيبي الثاني أدنى مقاما من الجنتين في السياق التركيبي الأول {**ومن دونهما جنتان**}، فالعام الدال على رؤى وصور مختلفة يفتح المجال للخيال للتأمل، وأعلى مقاما من الخاص المرتبط بدلالات ثابتة، فالمشاهد الثلاثة التي خصها الله عز وجل بالذكر جاءت متباينة من خلال ثنائية العام والخاص.

فصورة الطبيعة في السياق التركيبي الأول جاءت عامة؛ من خلال لفظ: {**أفنان**}، وتمحور هذا اللفظ عند علمائنا حول ثلاث دلالات رئيسة؛ فمنهم من رأى أن أفنان من الفنن(٤)، واستشهدوا بقول النابغة:

---

(١) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، م٦، ص ٣٤٥٧.

(٢) **القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام البيان**، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٤، ج، ج١١، ص ٦٠٥

(٣) التفسير الكبير، ج١٩، ص ص ١١١-١١٢.

(٤) ينظر: الطبري، (أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ) **تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٧، ج٧، ص ١٨٣، السيوطي (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري، ت ٩١١هـ)، **الدر المنثور في تفسير المأثور**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١، ج٦، ص ٢٠٤.

بُكاءُ حَمامَةٍ تَدْعو هَديـلاً   مُفَجّـعَةٍ عَلى فَنَنٍ تُغَنّي   (بحر الوافر)

فالفَنَن من وجهة نظرهم هو الغصن المستقيم طولا، أو الذي يتشعب من فروع الشجرة، أي ذواتا أغصان متشعبة من فروع الشجرة، فجاء مدحها بظلالها أو تكاثف أغصانها، وخصصت الأفنان بالذكر؛ لأنها التي تورق، وتمد الظل، ونجتني منها الثمار(١)، وذهب آخرون إلى أن أفنان من "فنّ"؛ من قولهم "افتن فلان في حديثه" إذا أخذ في فنون منه وضروب، والفن هو الضرب من كل شيء، أي ذواتا أنواع وأشكال(٢)، أي ذواتا أنواع من الفاكهة، وذهب بعضهم إلى أن {**ذواتا أفنان**}؛ أي ذواتا سعة وفضل على ما سواهما(٣). فكلمة "أفنان" انفتحت على تأويلات متعددة، فاتسمت بصفة العموم؛ وترك المجال للخيال لتأمل الصورة التي تكون عليها هاتان الجنتان بينما حددت بااللون الأخضر في السياق التركيبي الثاني، لذلك دار تفسير هذه الكلمة عند المفسرين حول النباتات والزروع الخضراء، فأورد المفسرون أنه يغلب على هاتين الجنتين النباتات والرياحين المنبسطة على الأرض(٤)؛ للمفارقة بينها وبين الأفنان العالية وارفة الظلال لاستشعار المفارقة بين الجنتين في السياق الأول والجنتين في السياق الثاني، إلا أن هذا الكلام غير دقيق؛ لأن الجنتين في السياق الثاني فيهما النخيل والرمان؛ وهما شجرتان لا تنبسطان على الأرض بل لهما علو ظاهر، فالمفارقة بين الجنتين لم تأت من سبيل المقارنة بين زروع منبسطة على الأرض وأفنان عالية، بل من خلال اختيار لفظ دال على العموم في السياق التركيبي الأول ولفظ دال على الخصوص في السياق التركيبي الثاني.

وجاءت صورة الفاكهة في السياق التركيبي الأول عامة فجاءت من {**كل فاكهة زوجان**}، واختلف المفسرون في بيان هذين الزوجين؛ لأنهم لم يستطيعوا أن يتخيلوا كيف يمكن أن يكون لكل فاكهة زوجان، فهذا الوصف غير مألوف للإنسان، فالفاكهة تتنوع من خلال اختلاف بعضها عن بعض، فكلّ نوع منها يشكل وحدة متفردة إذا ما قورن بغيره، ولكن في هذا السياق شكل كل نوع منها وحدة ثنائية؛ فاختلف في تفسير هذا الاختيار المعجمي: فقيل: أي صنفان ونوعان(٥)؛ معهود وغريب، لم يره أحد ولم يسمع، أو رطب ويابس، أو حلو وحامض، ويقال: لونان، وقيل في المنظر دون الطعم، أي فيهما من كل ما يتفكه به ضربان، وورد عن ابن عباس أنه قال: "ما في الجنة ثمرة حلوة ولا مرة وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو(٦)"؛ لأن ما في الجنة خلق

---

(١) البروسي، **تفسير روح البيان**، ج٩، ص٦١.

(٢) ينظر:الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٤٩، و(أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي) ت ٨٨٠هـ، ، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ ج١٨، ص ص ٣٤٥-٣٤٦.

(٣) السيوطي، **الدر المنثور في تفسير المأثور**، ج٧، ص ٧٠٩.

(٤) البروسوي، **تفسير روح البيان**، م٩، ص ٣٦٧.

(٥) الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٤٥١، البروسوي، **تفسير روح البيان**، م٩، ص ٣٦٣.

(٦) ينظر: السيوطي، **الدر المنثور في تفسير المأثور**، م٧، ص ٧٠٩، الثعالبي (سيدي عبد الرحمن الثعالبي) حققه: أبو محمد الغماري الإدريسي الحسني، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن** ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٦٩، ج٣، ص ٢٧٦، الشوكاني (محمد بن علي، ت ١٢٥٥هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٠، ج٥، ص ١٤٠.

من حلاوة الطاعات، فلا يوجد فيها المر المخلوق من مرارة السيئات، وقيل صنفان معهود وغريب لم يره أحد، ولم يسمع، أو حلو وحامض(١)، وقيل لونان، وقيل في المنظر دون المطعم(٢)، واكتفى آخرون بالإشارة إلى أن "زوجان" بمعنى نوعان(٣)، أو أن فيهما فواكه متنوعة ووفيرة(٤)،وأورد ابن كثير في تفسيره، أن فيهما من جميع أنواع الثمار، مما يعلمون، ومما لا يعلمون، ومما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر(٥)، ونلاحظ من خلال ما سبق أن المفسرين لم يستطيعوا أن يتخيلوا ما هي هذه الفاكهة في الجنتين، فحددوا أنها قد يكون منها الرطب واليابس أو الحلو والحامض، حتى إن بعضهم بالغ، وقال: الحنظل من فاكهة الجنة مع أن القرآن حدده أنه من نباتات جهنم ؛ واستخدام "كل" في هذا السياق جاء عاما لفاكهة عرفناها في الدنيا وفاكهة لم نعهدها، أما في السياق التركيبي الثاني فجاءت بعض أنواعها محددة خاصة؛ النخل والرمان

وكذلك الأمر في مشهد المرأة فقد جاءت صورتها الأولى غير محددة المعالم بل تشبه اللؤلؤ والمرجان، أما صورتها في السياق الثاني فقد جاءت محددة في بعض صفاتها، حيث جاءت "حوراء".

والمتكأ كذلك جاء في صورته الأولى غير محدد بل ذكر في وصفه أن بطائنه الداخلية من استبرق، وترك أمر ظاهره لخيال المتلقي، أما صورته الثانية فحددت من خلال الرفرف الأخضر والعبقري الحسان.

فاختلفت مرتبة الجنان باتصاف الأعلى مرتبة بالعموم، والأدنى مرتبة بالخصوص، فالمفارقة في المعجم بين الجنان إنما جاءت بالدرجة الأولى للتفريق بين مقام الجنان.

ثانياً:الاختيار المعجمي المتسق والموسيقى الخاصة بالسورة

بالنظر إلى المعجم في مشهد الجنان يلاحظ التفصيل في ذكر النعيم، وذلك لزيادة التأثير في المتلقي، فإن إعادة ذكر المحبوب محبوب، وتطويل الكلام في اللذات مستحسن(٦)، ويلاحظ كذلك كذلك الاتساق في توزيع المفردات وإيقاعها في الجمل فجاءت منتهية في معظمها بالمقطع الصوتي: (ان)، وفي بعض الأحيان بالمقطع الصوتي (ام)، فوظف لفظ {**المرجان**} دون غيره

---

(١) قيل أحدهما حلو والآخر حامض، أو أحدهما حار والآخر بارد، أحدهما فاكهة وغذاء والآخر فاكهة ودواء، أحدهما من البلاد الباردة، والآخر من فواكه البلاد الحارة، وأحدهما أشجار في غاية الطول والكبر، والآخر أشجاره بالضد، وأحدهما ما يؤكل منه بارز، وما لا يؤكل منه كامن، فهما كالضدين، والإشارة إلى الطرفين تتناول الإشارة إلى ما بينهما، كقوله تعالى: {**رب المشرقين ورب المغربين**}، ينظر: الدمشقي، **اللباب في علوم الكتاب**، ج١٨، ص ٣٥٨.

(٢) البروسوي، **تفسير روح البيان**، م٩، ص ٣٦٢.

(٣) ابن أبي زمنين، **تفسير القرآن العظيم**، م٤، ص ١٢٨.

(٤) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة م٦، ص ٣٤٥٧.

(٥) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، م٤، ص ٢٤٩.

(٦) الدمشقي، **اللباب في علوم الكتاب**، ج١٨، ص ٣٤٥.

من الألفاظ في وصف المرأة؛ ولفظ {**رمان**} عند ذكر فاكهة الجنة، ولفظ {**حسان**} في وصف المرأة والعبقري؛ لتحقيق غاية موسيقية تأثيرية، حيث انتهت هذه الكلمات بالنهايات الموسيقية التي تتلاءم والسياق التركيبي العام للسورة.

وهذا المقطع الصوتي "ان" (ص ح ح ص)، من المقاطع الطويلة في اللغة العربية فهو يحوي الصائت الطويل " ا " وينتهي بالصوت الأنفي "ن"(١) في أغلب الأحيان(٢).

واختيار هذين الصوتين (ا، ن) يتلاءم ومقام ذكر الجنان، فهما من جانب يعملان على جذب ذهن المتلقي للاندماج مع النص القرآني والتغني بجمال وروعة الجنان، ومن جانب آخر يتلاءمان ورفعة الجنان وعلو شأنها، فالصائت الطويل " ا " يعلن عن المسافة الزمنية والمكانية الممتدة بين واقعنا الأرضي والجنان السماوية، وصوت النون الصامت يعلن بوضوح كذلك عن علو مرتبة الجنان فهو صوت أنفي يخرج من مخرج يرتفع عن مخارج الأصوات الأخرى في العربية.

فانتهاء الآيات بصوت النون أكسبها إيقاعا موسيقيا رنانا يعلن بوضوح وجلاء عن نعم الله عز وجل وليس هذا فحسب، بل إن صوت النون من الأصوات النغمية الحادة المؤثرة في المتلقي تأثيرا بالغا وقد جاءت في النص ساكنة في نهايات الآيات لتزيد فعالية تأثيرها في المتلقي، فالسمات الصوتية لصوت النون انعكست على السياق الدلالي للآيات.

كما بدئ مشهد المرأة في الجنان في سورة الرحمن من خلال ضمير النسوة "هنّ" بدلا من ضمير المثنى "هما"، واختلف المفسرون في بيان دلالة هذا العدول؛ فقيل: إن ضمير النسوة في هذا السياق يعود إلى الجنات المدلول عليها "بالجنتين"، قيل: "كل فرد له جنتان فَصَحّ أنها جنان كثيرة"(٣)، وأورد الزمخشري أنّ ضمير النسوة عائد على الآلاء المعدودة؛ من الجنتين، والعينين، والفاكهة والفرش والجنى(٤)، وقال الفراء: "إن ضمير النسوة عائد على كل موضع في في الجنة، فصح أن يكون فيهن".

آراء كثيرة لدى المفسرين حاولوا من خلالها تفسير الضمير، إلا أنهم لم يلتفتوا إلى الغاية الأسلوبية الدلالية لهذا التوظيف؛ فقد خصّ ضمير النسوة "هنّ" بالذكر لتحقيق غاية موسيقية تأثيرية من خلال صوت النون المدغمة الذي ينسجم ونهايات الآيات في سورة الرحمن.

---

(١) الصفات الصوتية لصوت النون هي: أنفي لثوي (أسناني لثوي) مجهور، ينظر: تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٩٤، ص٥٩، ينظر: كمال محمد بشر: **علم اللغة العام**، دار المعارف، مصر، ١٩٧٣، ص ١٣٦.

(٢) وينتهي بصوت "م" في بعض الأحيان، والصفات الصوتية لصوت الميم هي: أنفي شفوي مجهور، ينظر: تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص ٥٩، ينظر: كمال محمد بشر: **علم اللغة العام**، ص ١٣٦.

(٣) الدمشقي، **اللباب في علوم الكتاب**، ج١٨، ص ٣٤٩.

(٤) الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٤٥٣.

كما خص بالذكر كذلك تكريماً للمرأة فهو الضمير الخاص بها، وللمفارقة بين مقامها ومقام النعم المادية الأخرى؛ كالفاكهة والمتكأ، فهي ليست مادة موجودة في هذه الجنان فحسب، عدا أن هذا الضمير يشع بدلالة المبالغة والتكثير.

الفصل الثاني: القراءة الثقافية الاجتماعية

قراءة الأوائل

التفت المفسرون في بعض الأحيان إلى الجانب الثقافي الاجتماعي في تأويلهم للاختيار المعجمي(١) في سورة الرحمن؛ إلا أنها كانت مجرد إشارات خاطفة فحسب.

وفي هذه القراءة سنحاول الربط بين الاختيار المعجمي في سورة الرحمن والثقافة الاجتماعية للعربي – متلقي النص القرآني الأول- من خلال المشاهد الثلاثة الرئيسة التي وصفت الجنة من خلالها، وهي: مشهد الطبيعة، ومشهد المرأة، ومشهد المتكأ:

القراءة الإضافية

أولا: مشهد الطبيعة

تدخلنا صورة طبيعة الجنتين في سورة الرحمن إلى عالم نابض بالماء والخضرة؛ فعيون الماء تارة جارية، وتارة أخرى نضّاخة، والجنتان مليئتان بالأشجار ذات القطوف الدّانية تارة، وبالأعشاب تارة أخرى، والفاكهة جاءت {**من كل فاكهة زوجان**} تارة، وخصصت بالنّخل والرّمان تارة أخرى.

بالنّظر تحديداً إلى صورة الماء؛ نجد صورة الماء الجاري(٢) في كل مكان، والماء المتدفق من الأرض(٣)، صورة محببة وتسكن في خيال العربي الذي يعيش في الجزيرة العربية؛ فالجدب أظهر ما عرفت به جزيرة العرب منذ القديم(٤)، وكان له أثر كبير في حياتهم؛ حيث اقتصر قيام المجتمعات المستقرة في الأماكن التي توافرت فيها المياه النابعة من الأرض، أو النازلة من

---

(١) سيتم تفصيل هذه الإشارات في المشاهد الثلاثة في مواضعها.

(٢) قيل فيهما نهران يجريان نابعين من عينين في الجنة، وقيل من عينين في أعلاها وأسفلها، تجريان من جبل من المسك، وعن الحسن: تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم، والأخرى السلسبيل، ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٤٥١، وبهجت عبد الواحد الشيخلي، **بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز**، ط١، مكتبة دينيس، الأردن، ٢٠٠١، ج٩، ص ٦٤٧.

(٣) يورد ياقوت الحموي: "ليس بجميع مكة شجر مثمر إلا شجر البادية، فإذا جزت الحرم، فهنالك عيون وآبار وحوائق كثيرة، ذات خضر ومزارع ونخيل" ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، **معجم البلدان**، دار صادر، ١٩٥٧، م٥، ص ١٨٧.

(٤) غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، ترجمةعادل زعيتر، ط٣، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٦، ص ٧٠.

السماء(١)، وبسبب معاناة العرب للحرمان وندرة المياه، قدّروا الخصب تقديراً بالغاً، لما له من رونق خاص في البيئة الجرداء التي يعيشون فيها(٢).

فالماء كان له قدسية خاصة عند العرب وغيرهم من الشعوب؛ لذلك نجد كثرة القصص التي تركز على آبار المياه عند العرب قديما؛ ومنها تلك القصص التي روت التنافس بين بطون قريش على حفر آبار الماء الخاصة لسقاية حجاج مكة(٣)، ونظم الشعراء في العصر الجاهلي الأراجيز التي تثني على آبارهم، فقال شاعر بني عدي يصف آبار قومه(٤):

نحن حفرنا بئرنا الحفيرا بَحْراً يَجيشُ ماؤُهُ غَزيراً (مشطور الرجز)

وقالت سبيعة بنت عبد شمس في الطّوِيّ(٥):

إنّ الطّوِىَّ إذا شَرِبْتُمْ ماءَها صَوْبَ الغَمامِ عُذوبةً وصفاءَ (بحر الكامل)

أما اللون الغالب على الجنتين في السياق التركيبي الثاني، فقد خصص من خلال كلمة متداولة عند العرب كثيرا {**مدهامتان**}؛ أي خضراوان تميلان إلى السواد من شدة الاخضرار(٦)، والعرب كانت تقول لكل أخضر أسود(٧)، فعبروا بالأسود عن الأخضر في مثل قولهم: سواد العراق؛ أي مجموعة الأشجار التي تحيط بها، وهي خضراء كثيفة تبدو داكنة للناظر عن بعد(٨)، وعبّروا بالأخضر عن الأسود، فالليل أخضر، والخضرة من الإبل: غبرة تخالطها دهمة(٩)، فاقترب مدلول الأخضر عند العرب من مدلول

---

(١) جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ط٢، ١٩٨٠، ج٤، ص ٢٨٠.

(٢) نوري حمودي القيسي، **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، دار الإرشاد، بيروت، ص ٤٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٣.

(٤) البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، ت ٢٧٩هـ)، **فتوح البلدان**، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٩، ص٦٢، ينظر: الحازمي (أبو بكر محمد بن موسى الحازمي الهمذاني، ت ٥٨٤هـ)، **الأماكن**، دار اليمامة، الرياض، ١٩٩٤، قال الأزهري حفير وحفيرة اسما موضعين ذكرهما الشعراء القدماء واسم بئر مكة.

(٥) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٦٢.

(٦) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج ١٩، ص ١٨٨، البيضاوي (ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي، ت ٦٥٨هـ) **تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، المكتبة الجديدة، القاهرة، ١٩٢٦، ج٥، ص ٢٨١.

(٧) انعكست طبيعة البيئة الصحراوية على المعجم العربي للون؛ فافتقر إلى الألوان الدالة على الخضرة والزرقة، بينما جاء غنيا بالألفاظ الدالة على بقية الألوان ولاسيما الألوان الساخنة، ينظر: ابراهيم محمدعلي، **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام (قراءة ميثولوجية)**، جروس برس، ط١، لبنان، طرابلس، ٢٠٠١، ص ٢١٢.

(٨) الرازي، "محمد بن أبي بكر ت ٣١١هـ"، **مختار الصحاح**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ص ١٨٩، ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٤، ص ٢٥١.

(٩) ابراهيم محمد علي، **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام (قراءة ميثولوجية)**، ص ٢١٢.

الأسود(١)، فقد قال العرب عن الأخضر المائل للسواد: "أحوى، وأدغم، وأدهم، ومدهام، وأقهب، وأقهب، وأخطب، وأورق"(٢)، فجاء وصف الجنتين في السياق الثاني من خلال كلمة مستوحاة من بيئة العربي دارت دلالاتها وانغلقت حول اللون الأخضر المائل للسواد.

والعربي كان تواقا إلى بيئة طبيعية يغلب عليها اللون الأخضر خاصة أنه عانى من الجدب، والتصحر، كما سبق أن أشرنا؛ لذلك خصص الله سبحانه وصف الجنان بهذه الصفة دون غيرها.

وحددت بعض أنواع الفاكهة في الجنتين في السياق التركيبي الثاني من خلال نوعين لهما حضور غالب في البيئة العربية؛ أولهما "النخيل"(٣)، ولهذا الشجر(٤) حضور خاص في البيئة والثقافة العربية، فهو موجود بكثرة في الجزيرة العربية، فيندر شجر الغاب في جزيرة العرب، والنخل أظهر ما فيها(٥)، فقد كانت بعض المناطق في الجزيرة العربية تشتمل على مزارع ونخيل؛ لوفرة عيون الماء، مثل خيبر، التي لم تكن تنتج النخيل فحسب بل تصدره إلى المناطق الأخرى، وحتى الأماكن التي يتواجد الماء فيها بقلة كانت لا تخلو من النخيل، حتى أصبحت النخلة رمزاً من رموز الصحراء(٦).

والعرب ينتفعون بالنخيل انتفاعا كبيرا، فيشكل التمر غذاء رئيسا لهم، ويؤكد ابن فارس أهمية النخيل فهو من أفضل الأشجار، ربما لقيمة ثمره، أو لقوته وصلابته، فهو يحيا في الصحراء الجافة(٧)، وقد عد بعض العلماء النخل من غير الفاكهة(٨)؛ لأنه عطف على الفاكهة في

---

(١) يورد ابن منظور في هذا السياق بيتا من الشعر:
وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة من أرض العرب، وهذا البيت يتناقله اللغويون دليلا على أن العرب تقول للأسود أخضر، ينظر: ابن منظور" أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ"، **لسان العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣، مادة "خضر".

(٢) ابراهيم محمدعلي، **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام (قراءة ميثولوجية)**، ص ٢١٢.

(٣) النخيل من أقدم أنواع الشجر التي عرفها الإنسان، وقد وردت إشارات إليه في شريعة حمورابي التي تعد من أقدم الشرائع البشرية، ينظر: محمود أمين، **شريعة حمورابي**، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٦١.

(٤) اهتم علماء العرب في التأليف المصنفات التي تتمحور حول النخلة، فوضع أبو عمرو الشيباني كتابا في النخلة، وأعقبه الأصمعي، فوضع كتابا في النخيل ذكر فيه نعوت سعفها وطولها وحملها وأجناسها وأمورا أخرى تتعلق بها، ثم ألف ابن الأعرابي كتاب صفة النخل، وألف أبو حاتم السجستاني كتاب النخلة، وأفرد ابن سيده في المخصص للنخل كتابا سماه كتاب النخل.

(٥) غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، ص٧٠.

(٦) **المرجع السابق**، ص ص ٧٠-٧١.

(٧) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ج٤، ص٢٧١.

(٨) قيل أفردا بالذكر؛ لأن ثمرة النخل فاكهة وطعام، والرمان فاكهة ودواء، فلم يخلصا للتفكه، ومنه قال أبو حنيفة رضي الله عنه: من حلف ألا يأكل فاكهة وأكل رمانا، أو رطبا لم يحنث، ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٤٥٢، وفصل القول في بيان فضل نخل ورمان الجنة؛ قال ابن عباس: الرمانة في الجنة ملء جلد البعير المقتب، ينظر: السيوطي، الدر المنثور، م٦، ص ١٢٠، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: نخل الجنة: جذوعها زمرد أخضر، وكرمها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، فيها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ويخلو من النوى، ينظر: محمد كامل حسن، **الجنة في القرآن الكريم**، المكتب العالمي، بيروت، ص ٧١.

في الآية، وهذا الكلام غير دقيق وإنما عطفت على سبيل عطف الخاص على العام(١)، فالجنة عالم ممتد، ومن غير المنطقي أن تحوي أشجار النخيل وبعض الأشجار الأخرى فحسب، وإنما خص النخيل بالذكر لحضوره في البيئة العربية.

وثانيهما "الرمان"؛ وقد عرفه العرب دواء لا فاكهة فقط (٢)، وخصّ ذكره في القرآن لكثرة لكثرة وجوده في الخريف والشتاء(٣)، وورد في السياق القرآنيّ من باب عطف الخاص على العام(٤)، وقيل إنّما خصّ بالذكر في القرآن لكثرته في أرض العرب(٥)، يقول القرطبي: وإنّما كررهما "أي النخيل والرمان"؛ لأنّهما كانا عندهم في ذلك الوقت بمنزلة البُر عندنا؛ فالتّمر عامّة قوتهم، والّرمان كالتمرات، فكان يكثر غرسها عندهم في مكة والمدينة، إلى ما والاها من أرض اليمن لحاجتهم إليها(٦).

ثانيا: مشهد المرأة(٧)

وصفت المرأة في الجنان المذكورة في سورة الرحمن بأنّها بكر {**لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجان**} وبالنظر إلى هذه الصفة من مرآة عربية خالصة نجد أن العربيّ يرغب في الزواج من المرأة البكر، فالبكارة شرط أساسيّ من الشروط التي يجب توافرها في الزواج، وإذا تبين أن البنت ليست بكرا، عُدّ ذلك نكبة، وعُيّر أهلها بها وكان مصيرها القتل للتخلص من عارها(٨)، والزواج من الثّيب عادة يعزف الرجل عنها في الجاهلية، ويُعيّر به من يقدم عليه، إذ يتهم بالوهن الجنسيّ وبالطّمع في مال زوجته، فليس يَجْمُل بالشاب أن يتزوج امرأة أعطت بكارتها غيره(٩).

---

(١) ابن سيده، **المخصص**، ج١١، ص ص ٦٤-٦٥، الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ت ٤٢٩هـ)، **فقه اللغة وسر العربية**، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨، ص ٣٨٧، الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد الهروي، ٣٧٠هـ)، **معجم تهذيب اللغة**، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١، ج٦، ص ٢٥.

(٢) اسماعيل البروسوي، **روح البيان**، ج٩، ص ٣٦٩.

(٣) **البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١٩، ص ص ١٨٨-١٨٩.

(٤) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ج٥، ص ٢٥٢.

(٥) الشوكاني، **فتح القدير**، ج٧، ص ١١٤.

(٦) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٧، ص ١٢١.

(٧) وردت عند المفسرين سيول من المبالغات في وصف نساء الجنة، كأن يقال لأن اطلعت امرأة منهن في الجنة إلى الأرض، لملأت ما بينهما رائحة عطرة، ولوأن شعرة من شعر رأسها وقعت في الأرض، لأشبه ضوء الشمس بالقياس إلى نورها سوادا في النور، وقالوا لو أن لؤلؤة من اللؤلؤ المركوم عليها سقطت إلى الدنيا لأضاءت ما بين المشرق والمغرب، وقيل يزين نعالهن باللآلئ، وكل واحدة منهن تلبس سبعين حلة، لكل حلة لونها البهيج، ولكل منهن سبعون سريرا من ياقوت أحمر قد نسجت بالذهب والدرر، وعلى كل سرير سبعون فراشا بطائنها من استبرق، ولكل واحدة سبعون وصيفة، ينظر: شوقي ضيف، **سورة الرحمن وسور قصار**، عرض ودراسة، دار المعارف، مصر، ص ١٣١.

(٨) محمود شكري الألوسي، **بلوغ الأرب في أحوال العرب**، الرحمانية، القاهرة، ١٩٢٤، ج٢، ص ١٣ وما بعدها.

(٩) جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج٤، ص ٦٣٥.

وجاءت المرأة في الجنان في سورة الرحمن بكرا لم يطمثها(١) قبلهم إنس ولاجان؛ يقول القرطبي: إن أهل الجنة كلما جامعوا النساء عدن أبكارا، وقال عباس: "إنّ الرجل في الجّنة ليعانق الحوراء سبعين سنة لا يملها ولا تمله كلما أتاها وجدها بكرا"(٢).

وترتبط هذه الصفة للمرأة في سورة الرحمن بخصوصية الثقافة العربية، فبالاطلاع على حياة العرب في جاهليتهم، نجد أنّ الأخلاق العربية قامت على دعائم؛ منها الاعتزاز بالشرف(٣)، بالشرف(٣)، وصيانة المرأة، فكان لا بدّ للرجال والنساء من العفة(٤).

وكانت المرأة في العصر الجاهليّ تفتخر بشرفها وعفتها؛ فها هي ذي الخنساء تقول لبنيها: "والله الذي لا إله غيره إنّكم لبنو رجل واحد، كما أنّكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجّنت حَسَبكم، ولا غيرت نسبكم"(٥)، وهاهي ذي هند بنت عتبة تستنكر الزنا أمام رسول الله: "وهل تزني الحرة؟"(٦).

وتثبت النقوش الجاهلية القديمة أنّ من النادر جداً أن تصاغ تعابير التّحبب على لسان المرأة(٧)، مما يدل على عفتها، وكثرت القصص المنسوبة إلى الجاهليين التي تدور حول حبّ الرّجل للمرأة، وليس العكس، لأنّ طبع الرجل التّباهي بحب النساء، أمّا المرأة فمن طبعها الخجل، كما أن المجتمع لا يسمح لها بذلك، ففي التصريح خروج عن الآداب العامة، وجلب العار للبنت والأسرة(٨).

واهتم الشعراء الجاهليون بإبراز صفة العفة في نسائهم؛ فتحدثوا عن تسترها، وتصونها، وخفرها، وكرمها، وعفتها، وبعدها عن مواطن الريب(٩)، فهي قرة لحليلها في غيابه وحضوره،

---

(١) لم يطمثهن أي لم يصبهن بالجماع قبل أزواجهن أحد، قال الفراء والطمث الافتضاض والنكاح بالتدمية، طمثها يطمثها طمثا إذا افتضها وقال أبو عمرو الطمث المس، أي هن عذارى، يقول الفرزدق:
وقعن إلي لم يطمثن قبلي فهن أصح من بيض النعام، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة طمث.

(٢) **القرطبي، الجامع لأحكام البيان** ، ج٥، ص ٤٥.

(٣) روي عن أكثم بن صيفي قوله: "المناكح الكريمة مدارج الشرف"، ينظر: الثعالبي، أبو منصور عبد الملك محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، دارالمعارف، القاهرة، ١٩٨٥ ص ٦٩١.

(٤) أحمد محمد الحوفي، **المرأة في الشعر الجاهلي**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ص ٣٥١.

(٥) **طهارة العرب**، ص ١٥.

(٦) ابن حجر "شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي، ت ٨٥٢هـ" **الإصابة في تمييز الصحابة**، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٣٩، ج٨، ص ٢٠٥.

(٧) عبد العزيز صالح، **المرأة في النصوص والآثار العربية القديمة**، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، ط١، الكويت، ١٩٨٥.

(٨) جواد العلي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج٤، ص ٦٣٠.

(٩) صلاح الدين أحمد دراوشة، **القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي من خلال ديواني المفضليات والأصمعيات**، ط١، ٢٠٠١، ص ٦٠.

وهي وقورة لدرجة تمنعها من الاستغراق في الضحك أو المبالغة في العبوس، وهي طاهرة الخلق تبتعد عن استراق السمع(١).

ويصفها الشّنفرى في تائيته المشهورة، بأنها عفيفة تحافظ على سمعتها، فلا تسقط قناعها أثناء مشيها في الطريق، ولا تكثر من التلفت أثناء سيرها(٢).

فيقول(٣):

لَقَدْ أَعْجَبَتْني لا سَقوطاً قِناعُها   إذا ما مَشت، ولا بِذات تَلفّتِ
تَبيتُ بُعَيْد النّوم تُهدي غَبوقَها   لِجارتها إذا الهديـةُ قلّـتِ
تَحُلّ بِمَنْجاة مِنَ الْلَوْمِ بَيْتَها   إذا ما بيوتٌ بالمذمّـة حُلّتِ
كَأَنَّ لَها في الْأَرض نِسياً تَقُصّهُ   على أُمّها وإنْ تُكَلِّمْكَ تَبْلَتِ
أُمَيْمَةُ لا يُخْزي نَثَاها حليلَها   إذا ذُكِرَ النّسْوان عفّت وجَلّتِ
إذا هُو أَمْسى آبَ قُرّةَ عَيْنِهِ   مآب السّعيدِ لَمْ يَسَلْ أين ظلّتِ (بحر الطويل)

وقد تباهى العرب بالمرأة العفيفة، يقول سلامة بن جندل في عفة صاحبته(٤):

وعِنْدَنا قَيْنَةٌ◌ بَيْضـاءُ ناعمـةٌ   مِثْلُ الْمَهاةِ من الْحورِ الْخَراعيبِ
تُجْري السّواكَ على غُرٍّ مُفَلَّجَةٍ   لَمْ يَغْرُها دَنَسٌ تحت الجَلابيبِ (بحر البسيط)

وقد صرح سليك بن السلكة بأنّه يعاف المرأة التي تجود بنفسها(٥):

يَعاف وِصالَ ذاتِ البَذلِ قَلْبي   ويَتَّبِعُ الممنَّعة الـنوارا (بحر الوافر)

ويقول معن بن أوس(٦):

لَعَمْرُكَ مَا عرسي بِدَارِ مضيعة   ومَا بَعْلُها إنْ غاب عَنْها بِخائفِ (بحر الطويل)

---

(١) عبد العزيز نبوي، **المرأة في شعر الأعشى**، دار الصدر لخدمات الطباعة، مدينة نصر، ص١٨.

(٢) منذر ذيب كفافي، **الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشعرية، دراسة في الشكل والمضمون**، ط١، ٢٠٠٦، جدارا للكتاب العالمي، عالم الكتب الحديث.

(٣) المفضل الضبي، المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط٣، ص ١٩٦٣، ص ١٠٨، المفضلية رقم ٢٠.

(٤) المفضل الضبي، **المفضليات**، ص ١٢٠، المفضلية: ٢٢.

(٥) الأصفهاني "أبو الفرج علي بن الحسين" ت ٣٥٦هـ، **الأغاني**، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٧٠، ج٥، ص ٣١٨.

(٦) معن بن أوس المزني، **ديوان معن**، تحقيق نوري حمودي القيسي، وحاتم صالح الضامن، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٧٧: ص ٣٥.

ويمدح صخر عفة أختـه، ويقول(١):

واللهِ لا أمْنَحَها شِـرَارَهـا   ولو هَلَكَتْ قَدّدَتْ خِمارَهـا
واتخذت من شَعَرَ صِدارها   وهي حَصان قد كَفَتْني عارَها (بحر الرجز)

ويقول كعب بن الرواع(٢):

وَيَخالها المَرِحُ السَّفيهُ تُجبه   ونوالها غير الحديث بعيدُ (بحر الكامل)

ويقول علقمة بن عبدة(٣):

مُنَعَّمَةٌ ما يُسْتَـطاعُ كِلامُها   على بَابِها مِنْ أَنْ تُزارَ رَقِيبُ
إذا غَابَ عَنْها الْبَعْلُ لَمْ تُفْشِ سِرَّهُ   وَتُرْضِي إِيابَ الْبَعْلِ حينَ يَؤوبُ (بحر الطويل)

وشبهها بعض الشعراء بالدّرة الثّمينة، فهي صعبة المنال، يقول الأعشى(٤):

كَأَنّها دُرّةٌ زَهْراءُ أَخْرَجَها   غوّاصُ دارينَ يخشى دونها الغَرقا (بحر البسيط)

ويقول قيس بن الخطيم(٥):

كَأَنّهَا دُرّةٌ أحـاطَ بها الـ   غواص يجلو عن وجهها صَدَفُ (بحر المنسرح)

وبقاء المرأة في بيتها من الصفات المحمودة(٦)، يقول الشاعر:

من كان حربا للنساء   م فإنني سلم لهنـه
فإذا عثرن دعونني   وإذا عثرت دعوتهنه
وإذا برزن لمحفل   فقصارهن ملاحهنه (مجزوء الكامل)

كمـا أن الطـابع العـام الـذي ميـز شـعر الغـزل فـي العصـر الجـاهلي، البـراءة والعفـة ونقـاء الألفاظ، وقلما نجد في الشعر الجـاهلي فحشـا، فالشـاعر يعـرف حـدوده فـي الغـزل فـلا يتجاوزهـا؛

---

(١) **الإصابة**، ج٨، ص ٦٧.
(٢) الآمدي، "أبو القاسم الحسن بن بشر ت ٣٧٠هـ **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم، وأنسابهم، وبعض أشعارهم**، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١ص١٢٧.
(٣) المفضل الضبي، **المفضليات**، ج١، ص ٧١.
(٤) **ديوان الأعشى (أبو بصير ميمون بن قيس)**، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٣.
(٥) **ديوان قيس بن الخطيم**، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧ ص ١٨.
(٦) ويُنتقد الأعشى في وصفه للمرأة، عندما قال:

غراء فرعاء مصقول عوارضها   تمشي الهوينا كما يمشي الوجى الوحل
كأن مشيتها من بيت جارتها   مر السحاب لا ريث ولا عجل

فقيل له قاتلك الله تستحسن غير الحسن، هذه الموصوفة خراجة ولاجة

لأنه يعلم أنه إذا ذكر الفحش في شعره وتعرض بامرأة معينة، فإنها لن تسكت عنه، ولن يفلت من عقاب أسرتها(١).

ووصفت المرأة كذلك بأنها "قاصرة الطرف"؛ أي هي منكسرة الجفن خافضة النظر، ولا ناظرة لغير زوجها(٢)، وقد ورد "أن الواحدة منهن تقول لبعلها: والله ما أرى في الجنة شيئا أحسن منك، ولا في الجنة شيئا أحبّ إليّ منك فالحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك"(٣) فهي قصرت النظر على زوجها من تلقاء نفسها.

يقول امرؤ القيس في وصف قاصرات الطرف:

مِنَ الْقاصِراتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ مِنَ الذَّر فوق الإتْبِ منها لأثَّرا (بحر الطويل)

وهي كذلك مقصورة(٤)، للحفاظ عليها ، فالعائلة تهيئ لفتياتها الراحة والطمأنينة من خلال بناء البيوت لهن، قال الرّازي: "إشارة إلى عظمتهن، فإنهن ما قصرن حجراً عليهن، وإنّما ذلك إشارة إلى ضرب الخيام لهن، وإدلاء الستر عليهن"(٥) وكانت صفة القصر تطلق على المرأة عند العرب على صيغة اسم المفعول "مقصورة" وتعني مقربة لا تترك ترود لنفاستها عند الأهل(٦)، فهي المنعمة في بيت لا تتركه لتعمل والجمع مقصورات(٧)، لذا استخدمت صيغة اسم اسم المفعول لتتلاءم وحال المرأة المنعمة، التي يحرص الرجل على الحفاظ عليها من كل رذيلة.

ووصفت المرأة في الجنان كذلك من خلال تشبيهها بالمرجان(٨)، والياقوت(٩)، وهو حجركريم شفاف مشرب بالحمرة في الغالب(١٠)، ويورد القرطبي أن الياقوت حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من وراء ذلك كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء(١١)،

---

(١) جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧١، ج٤، ص ٦٣١.

(٢) الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٤٥١.

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٥، ص ٢٥٠.

(٤) مقصورات: قصرن في خدورهن، يقال امرأة قصيرة ومقصورة مخدرة، وقيل إن الخيمة من خيامهن درة مجوفة، ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٤٥٢.

(٥) الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر، "ت ٩٠٦هـ" **التفسير الكبير**، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٢، ج٢٩، ص ١١٨.

(٦) العبكري، **المشوف المعلم**، ج٢، ص ٦٤٥.

(٧) عبد المنعم عبد العال، **الشامل لجموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية**، مكتبة غريب، القاهرة، ١٨٨٢ ج١، ص١١.

(٨) قيل إن الحوراء تلبس سبعين حلة، فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر من الزجاجة البيضاء، ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ٤٥١.

(٩) الياقوت، يقال فارسي معرب، وهو فاعول، الواحدة ياقوتة، والجمع اليواقيت، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة يقت.

(١٠) **معجم ألفاظ القرآن الكريم**، مجمع اللغة العربية، مصر ط٢، ١٩٨٨، ص ١٢١٨.

(١١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**.

فتشبيه النساء بالياقوت، يقصد به الصفاء؛ لأن الياقوت غاية في الشفافية(١)، والمرجان صغار اللؤلؤ بلغة أهل اليمن (٢)، واللفظان المستخدمان في التشبيه في هذا السياق لفظان ارتبطا بالمرأة عند العرب، فتوظيف الياقوت في الشعر العربي ارتبط ارتباطا وثيقا بالمرأة وحليها وجمالها، فقد قال النابغة:

بالدّر والياقوتِ زيّنَ نَحْرُها   وَمُفَصّلٍ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدِ (بحر الكامل)

وقال بشار بن برد:

هِجان عَلَيْها حُمْرَةٌ في بَياضِها   تَروق لذي العينَين والحُسْنُ أَحْمَرُ (بحر الطويل)

وقد شبهت العرب النساء في حسنهن بالياقوت، وسمتهن باسمه، فقد قال الخليل:

إنّمَا الذّلْفَـاءُ ياقـوتةٌ   أُخْرجت من كيس دَهْقان (بحر المديد)

وقالوا في أسماء النساء: ياقوتة ولؤلؤة ومرجانة(٣)، وقد كثر ورود الياقوت في الشعر العربي في ذكر حلي المرأة ووصفها، يقول المرقش الأصغر(٤):

تَحَلّيْنَ ياقوتاً وشِذْراً وصِبغةً   وجزعا ظفاريا ودرا توائما (بحر الطويل)

ويقول امرؤ القيس(٥):

غرائر في كِنٍّ وَصَوْنٍ وَنَعْمَةٍ   يُحَـلَّيْنَ ياقوتا وَدُرّاً مُفَـقّرا
وريحَ سناً في حُقّةٍ حِمْيَرِيّةٍ   تُخَصُّ بِمفروك من المِسك أذفرا (بحر الطويل)

ويقول سحيم الحسحاس(٦):

وَجيدٍ كَجيدِ الرّئْمِ لَيْسَ بِعاطِلٍ   مِنَ الدّرِّ وَالْياقوتِ وَالشّذرِ حاليا
كَأَنّ الثّرَيّا عُلِّقَتْ فَوْقَ نَحْرِها   وجمر غضى هبت له الريح ذاكيا (بحر الطويل)

---

(١) البيضاوي، **تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج١٧، ص ١٨٢.

(٢) ابن سلام، أبوعبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٤هـ"، روايةعن الصحابي ابن عباس، تحقيق: عبد الحميد السيد طلب، ١٩٨٤، ص٢٦٧، بعض المفسرين يوافقون لغة أهل اليمن في تفسير المرجان بصغار اللؤلؤ، ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص ٢٤٥، وص ٢٥٠، والدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، ج١٨، ص ٣٢٠.

(٣) أبو القاسم البغدادي، **الجمان في تشبيهات القرآن**، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط١، ٢٠٠٢، دار الفكر، دمشق، ص ٣٦٢.

(٤) **شعر المرقش الأصغر**:٥٣٥.

(٥) **ديوان امرئ القيس**، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٥٩.

(٦) **ديوان سحيم**، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٠، ص ١٧.

كما أن الرجل في العصر الجاهلي كان يفضل الارتباط بالنساء البيض(١)، ويقال للمرأة التي يغلب عليها البياض، الحمراء، وقد لقب الرسول زوجته عائشة بالحميراء، ومن هنا جاء توظيف الياقوت في التشبيه، للحمرة فيه.

ووصفت المرأة كذلك بأنها "خيرة حسنة"، وقال المبرد: الخيرات الجواري الفاضلات، جمع خيرة، وقيل الخيرة من النساء: الكريمة النسب الشريفة الحسب، الحسنة الوجه(٢)، وكل هذه الصفات اهتم العربي بها كثيرا في المرأة التي يرغب الزواج منها.

وخصصت صفة من صفات جمالها، وهي صفة جمالية مرتبط بالثقافة العربية قديما، وهي صفة "الحور"(٣)، وقيل: الحور أن يشتد بياض بياض العين، وسواد سوادهما، وتستدير حدقتهما، ويبيّض ما حولهما، وقيل الحور شدة سواد المقلة قي شدة بياض الجسد(٤)، وقيل هو تشبيه لعيون النساء بالمها(٥)، وارتبط لفظ حور في القرآن بلفظ عين بطريقة متلازمة، لتعكس التلازم في البيئة العربية في استخدامها للفظ حور، فنجد العربي في الشعر الجاهلي تلفته المرأة حوراء(٦) العينين.

يقول قيس بن الخطيم[٧]:

حوراء جيداء يستضاء بها   كأنها خوط بانة قصف (بحر المنسرح)

ويقول المنذر الأكبر ملك الحيرة، في وصفه لجارية(٨):

" .. معتدلة الخلق، نقية اللون والثغر، بيضاء، قمراء،...،حوراء، عيناء..."

---

(١) جواد العلي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج٤، ص ٦٣٦.

(٢) إلياس كلانتري، **مفردات القرآن في مجمع البيان**، ص ١٤٥.

(٣) يقول ابن فارس: إن للحاء والواء والراء ثلاثة أصول: الأول اللون؛ وهو شدة بياض العين في شدة سوادها، والثاني الرجوع، فيقال حار إذا رجع، والثالث أن يدور الشيء دورا، ينظر: ابن فارس " أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت ٣٩٥هـ"، **معجم مقاييس اللغة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩، ج٢، ص ص ١١٥-١١٧.

(٤) والحوراء البيضاء، والأعراب تسمي نساء الأمصار حواريات لبياضهن وتباعدهن عن قشف الأعراب، والحواريات من النساء النقيات الألوان والجلود لبياضهن، وقيل النقيات البياض، الشديدات سواد الحدق، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة حور.

(٥) ابن سيدة" أبو الحسن علي بن اسماعيل، ت ٤٥٨هـ، **المحكم والمحيط الأعظم**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠، ج٣، ص ٥٠٣.

(٦) **البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١٩، ص ص ١٩٠-١٩١.

(٧) الأصمعي (أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي الباهلي ت ٢١٦هـ) **الأصمعيات**، تحقيق قصي الحسين، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٨، ج١، ص ١٩.

(٨) أحمد زكي صفوت، **جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة**، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ، ١٩٣٧، ج١، ص ص ١٠-١١.

ثالثا: مشهد المتكأ

أورد الله تعالى أن المتكأ في الجنة من فرش بطائنها من استبرق، وهو كذلك من الرفرف(١)، والرفرف ما تدلى من الأسرة من عالي الثياب، أو ضرب من البسط والوسائد، وورد أن الرفرف ضرب من الثياب مشبه بالرياض(٢)، وحدد لونه بالأخضر(٣).

واحتل هذا اللون في القرآن الكريم مكانة مميزة، فقد تكررت مادة (خضر) في آياته الكريمة ثماني مرات(٤)، وجاء هذا اللون في وصف أرض الجنة، وثياب أهلها وفرش مساكنهم، ولم يكن يكن هذا الاهتمام القرآني باللون الأخضر إلا لأن هذا القرآن يخاطب عربيا في المقام الأول(٥)، ويحدث كذلك إنسانا أينما كان يجذبه نحو الأخضر خيط قديم جدا ما زالت جذوره في اللاشعور الجمعي(٦).

فالخضرة كانت تحية العربي لأخيه وصديقه؛ فهويقول لمن يحب: "خَضْراً لك" (٧)، وفي المقابل يقول لأعدائه: "أباد الله خضراءهم"(٨) أي نعمهم، وهو لك خضرا مريئا أي هنيئا مريئا، وخضرا لك أي سقيا لك ورعيا، والدنيا حلوة خضرة، مضرة، أي: "ناعمة وغضّة وطريّة وطيّبة"(٩)، فالأخضر لون يسر النظر، وكانت الثياب الخضر عزيزة في العصر الماضي، وهي وهي ثياب الملوك والكبراء(١٠)، يقول النابغة:

يصونون أجسادا قديما نعيمها   بخالصة الأردان خضر المناكب (بحر الطويل)

---

(١) الرفرف البساط أو الستر، وقيل بساط، وقيل فراش، وقيل الرفرف ما كان من الديباج وغيره، رقيقا حسن الصنعة، وقيل رفرف الأيكة ما تهدل من غصونها، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة رف، وقيل البسط تتحرك مع هبوب الريح.

(٢) **الشوكاني، فتح القدير**، ص ص ١٩٠-١٩١.

(٣) الأخضر من الألوان الباردة، ذات الطول الموجي القصير، ولذلك فإن له خصائصه المسكنة والمهدئة للجهاز العصبي، فهو لون الربيع والتجدد والأمل، ويرتبط بالنماء والخصب، ويرمز للحياة والوفرة والخير، ينظر: ابراهيم محمد علي، **اللون في شعر العربي قبل الإسلام (قراءة ميثولوجية)**، ص ٢١٢.

(٤) محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ط٤، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤ ص ٢٣٤.

(٥) كان العربي يحيا في هذه الصحراء القاسية ذات اللون الأصفر الرتيب الممتد، حيث الجفاف، وفي بيئة كهذه فإن أجمل ما تقع عليه عينه بقعة خضراء يعدها غيثا له ولحصانه ولناقته، يقول امرؤ القيس:
وغيث من الوسمي حُوٍ تلاعه   تبطنته بشيظم الصّلتان، والحو خضرة في سواد، ينظر: امرؤ القيس "حلاج بن حجر، ت ٨٠ق.هـ" **الديوان**، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٣ ص ١٤.

(٦) إبراهيم محمد علي، **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام(قراءة ميثولوجية)**، ص٢١٢.

(٧) ابن منظر، **لسان العرب**، مادة خضر.

(٨) الميداني، **(أبو الفضل أحمد بن محمد، ت ٥١٨هـ) مجمع الأمثال**، ط٢، دار الجليل بيروت، ١٩٨٧ ج١، ص ١٤١.

(٩) ينظر، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة خضر.

(١٠) ابن جزي الكلبي، (أبو القاسم محمد بن أحمد ت ٧١٤هـ) **التسهيل لعلوم التنزيل**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

والمتكأ كذلك من "العبقري"(١)؛ وهو ضرب من البسط، تصنع من الأصواف وشعر الماعز، وقيل إن عبقرة موضع باليمن أو الجزيرة، يوشى فيه الثياب والبسط، ثيابه في غاية الحسن والجودة، فصارت مثلا لكل منسوب إلى شيء رفيع(٢)، وورد عن الخليل بن أحمد الفراهيدي أن كل نفيس من الرجال وغير ذلك يسمى عند العرب عبقريا(٣)، فهو موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن، ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من جودة صنعته وقوته ، فخاطبهم الله سبحانه وتعالى بما تعارفوه (٤).

فاختير هذا اللفظ في القرآن دون غيره من الكلام؛ لمناسبة بيئة العربيّ في ذلك الوقت، يقول ابن الأثير: عبقر قرية تسكنها الجن فيما زعموا، فكلما رأوا شيئا فائقا غريبا مما يصعب عمله نسبوه إليها(٥)، يقول لبيد:

وَمَنْ فَاد مِنْ إِخْوانِهم وبَنيهم   كُهولٌ وَشُبّانٌ كَجِنّةِ عَبْقَرِ
مَضَوْا سَلَفاً قَصْدَ السّبيلِ عَلَيهِمِ   بَهِيٌّ مِنَ السُّلافِ لَيْسَ بِحَيْدَرِ (بحر الطويل)

ويقول امرؤ القيس:

كَأَنَّ صَليلَ الْمَرْوِ حينَ تُشِدّه   صَليلُ زُيوفٍ يُنْتَقَدْنَ بِعَبْقَرا (بحر الطويل)

ويقول ذو الرمة:

حَتّى كَأَنّ رِياض القُفّ أَلْبَسَها   مِنْ وَشْيِ عَبْقَر تَجْليلٌ وَتَنْجِيدُ (بحر البسيط)

ويقول زهير:

بخيلٍ عليها جِنّةٌ عَبْقَرّيّةٌ   جديرون يوماً أنْ يَنالوا ويستعلوا (بحر الطويل)

وخصص المسكن كذلك من خلال كلمة خاصة بالبيئة العربية، وهي الخيام؛ وقد سكن العربي الخيمة لمناسبتها للبيئة الصحراوية، فهي تقي ساكنها الحر والبرد معا، ومناسبة لبيئة العرب في ذلك الوقت فجاء المسكن في القرآن على شكل خيمة، وإن كانت في حقيقتها تختلف

---

(١) عبقر موضع في البادية كثير الجن، نسبوا إليه كل ما تعجبوا من دقة صنعه، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة عبقر يقول ذو الرمة:
حتى كأن رياض القف ألبسها   من وشي عبقر تجليل وتنجيد.

(٢) ينظر:البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١٩، ص ص ١٩٠-١٩١، الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص ٤٥٢، ابن سيدة (أبو الحسن بن اسماعيل ت ٤٥٨هـ)، **المخصص**، دار إحياء التراث، بيروت، ج٤، ص ٧٣.

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٥، ص ٢٥٢.

(٤) الرازي "محمد بن أبي بكر بن عبد القادر" **مختار الصحاح**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ص ٣٤٩.

(٥) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة عبقر.

عن الخيمة التي كان يسكنها العربي؛ للتعبير عن السكن فحسب، وفي الخيام قال الرسول صلى الله عليه وسلم:" إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا"(١).

الخاتمة

مشاهد ثلاث متتالية متجانسة في مضمونها، جاءت ترتسم في سورة الرحمن للجنان الأربعة – الجنتين في السياق التركيبي الأول، والجنتين في السياق التركيبي الثاني-؛ مشهد الطبيعة، ومشهد المرأة، ومشهد المتكأ، إلا أن هذه المشاهد لم تأت متماثلة تماثلا تاما، بل افترقت من خلال معجم الوصف.

وجاءت منظومة المفردات في سورة الرحمن على هذا النحو لتنسجم و:

- بيئة العربي وثقافته زمن التلقي الأول
- مناسبة البنية التركيبية الداخلية للسورة؛ موسيقيا، ودلاليا وسياقيا

هذا ما حاولت الدراسة بيانه لتضيف رؤية جديدة لقراءة النص القرآني؛ قراءة ثقافية تربطه بسياقه الثقافي زمن التلقي الأول، من جهة، وانفتاحه على أزمان لاحقة متتالية من جهة أخرى، وقراءة بنيوية، تقرأ النص القرآن من خلال البنية التركيبية للسورة التي ورد فيها الوصف.

قائمة المصادر والمراجع

- الآمدي. "أبو القاسم الحسين بن بشر ت ٣٧٠هـ". (١٩٩١). المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض أشعارهم. دار الجيل. بيروت.
- الأزهري. "أبو منصور محمد بن أحمد الهروي ت ٣٧٠هـ ". (٢٠٠١). معجم تهذيب اللغة. دار المعرفة. بيروت.
- الأصمعي. "أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي الباهلي ت ٢١٦هـ". (١٩٩٨). الأصمعيات. تحقيق قصي الحسين. دار مكتبة الهلال. بيروت.
- الأصفهاني. "أبو الفرج علي بن الحسين. ت ٣٥٦هـ ". (١٩٧٠). الأغاني. الهيئة المصرية العامة. القاهرة.
- الأعشى. "أبو بصير بن ميمون". (١٩٨٠). ديوان الأعشى. دار صادر. بيروت.
- الألوسي، محمود شكري. (١٩٢٤). بلوغ الأرب في أحوال العرب. الرحمانية. القاهرة.
- أمين، محمود. شريعة حمورابي. (١٩٦١). كلية الآداب. جامعة بغداد.

---

(١) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٥، ص ٢٥٢.

- ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. ت ٣٩٩هـ. تفسير القرآن العزيز. تحقيق؛ أبو عبد الله حسين بن عكاشة. ومحمد بن مصطفى. الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.
- ابن جزي الكلبي. "أبو قاسم محمد بن أحمد. ت ٧١٤هـ". التسهيل لعلوم التنزيل. دار الكتب العلمية. بيروت.
- ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي الكتابي. (١٩٣٩). الإصابة في تمييز الصحابة. المكتبة التجارية. القاهرة.
- ابن سلام. "أبو عبيد القاسم ت ٢٢٤هـ". (١٩٨٤). رواية عن الصحابي ابن عباس. تحقيق عبد الحميد السيد طلب.
- ابن سيدة. "أبو الحسن علي بن اسماعيل ت ٤٥٨هـ". (٢٠٠٠). المحكم والمحيط الأعظم. دار الكتب العلمية. بيروت.
- ابن سيدة. "أبو الحسن علي بن اسماعيل ت ٤٥٨هـ". (١٩٩٦). المخصص. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور. (١٩٣٧). التحرير والتنوير. دار سحنون. تونس.
- ابن فارس. "أبو الحسين أحمد بن زكريا القزويني ت ٣٩٥هـ". (١٩٩١). معجم مقاييس اللغة. دار الكتب العلمية. بيروت.
- ابن كثير. "اسماعيل بن كثير الدمشقي القرشي ت ٧٧٤هـ". (٢٠٠٢). تفسير القرآن العظيم. المكتبة العصرية للطباعة والنشر. بيروت.
- ابن نصر. "محمود بن حمزة ت ٥٠٥هـ". البرهان في توجيه القرآن لما فيه من الحجة والبيان. تحقيق السيد الجميلي. مركز الكتاب للنش. القاهرة.
- البروسي. "الشيخ اسماعيل حقي البروسي ت ١١٣٧هـ". (٢٠٠١). تفسير روح البيان. ط١. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- بشر، كمال محمد. (١٩٧٣). علم اللغة العام. دار المعارف. مصر.
- البغدادي. "أبو القاسم". (٢٠٠١). الجمان في تشبيهات القرآن. تحقيق محمد رضوان الداية. ط١. دار الفكر. دمشق.
- البقاعي. "الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ت ٨٨٥هـ". (١٩٨٢). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ط١. وزارة الشؤون والاوقاف الإسلامية. قطر.
- البلاذري. "أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ". (١٩٧٥). فتوح البلدان. دار النشر للجامعيين. بيروت.

- البيضاوي. "ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي ت ٦٥٨هـ". (١٩٩٨). تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- الثعالبي. "أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ت ٤٢٩هـ". (١٩٨٥). ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. دار المعارف. القاهرة.
- الثعالبي. "أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ت ٤٢٩هـ". (١٩٩٨). فقه اللغة وسر العربية. دار الجيل. بيروت.
- الثعالبي. "سيدي عبد الرحمن الثعالبي". (١٩٦٩). الجواهر الحسان في تفسير القرآن. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت.
- الجرجاني. "أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ت ٤٧١هـ". (١٩٩٨). دلائل الإعجاز. ط٢. دار المعرفة. بيروت.
- الحازمي. "أبو بكر محمد بن موسى الحازمي الهمذاني ت ٥٨٤هـ". (١٩٩٤). الأماكن. دار اليمامة. الرياض.
- حسان، تمام. (١٩٩٤). اللغة العربية معناها ومبناها. دار الثقافة. الدار البيضاء.
- الحموي. "ياقوت شهاب الدين". (١٩٧٥). معجم البلدان. دار صادر.
- الخطابي، "ابو سليمان حمد بن محمد البستي ت ٣٨٨هـ". (١٩٥٣). بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. ط٣. دار التاليف. القاهرة.
- الخطيم، قيس. (١٩٦٧). ديوان قيس بن الخطيم. تحقيق؛ ناصر الدين الأسد. دار صادر. بيروت.
- دراوشة، صلاح الدين أحمد. (٢٠٠١). القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي من خلال ديواني المفضليات والاصمعيات. ط١.
- الدمشقي. "أبو حفص عمر بن علي بن عادل ت ٨٨٠هـ". (١٩٩٨). اللباب في علوم الكتاب. تحقيق؛ عادل أحمد عبد الموجود. وعلي محمد معوض. دار الكتب العلمية. بيروت.
- الرازي. "فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر ت ٩٠٦هـ". (٢٠٠٢). التفسير الكبير. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- الرازي. "محمد بن أبي بكر ت ٣١١هـ". مختار الصحاح. المؤسسة الحديثة للكتاب. طرابلس. لبنان.

- الزمخشري. "أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ت ٥٣٨هـ". (١٩٩٧). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق؛ عبد الرازق المهدي. ط١. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- سحيم. (١٩٥٠). ديوان سحيم. تحقيق؛ عبد العزيز الميمني. دار الكتب المصرية. القاهرة.
- السيوطي. "جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري ت ٩١١هـ. (٢٠٠١). الدر المنثور في تفسير المأثور. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- الشعراوي، محمد متولي. (٢٠٠١). صفات أهل الجنة وصفات أهل الجحيم. ط١.
- الشوكاني. "محمد بن علي ت ٢٥٥هـ". (٢٠٠٠). فتح القدير بين فني الرواية والدراية في التفسير. دار ابن حزم. بيروت.
- الشيخلي، بهجت عبد الواحد. (٢٠٠١). بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز. ط١. مكتبة دينيس. الأردن.
- صالح، عبد العزيز. (١٩٨٥). "المرأة في النصوص والآثار العربية القديمة". مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. ط١. جامعة الكويت. الكويت.
- صفوت، احمد زكي. (١٩٣٧). جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة. مصطفى البابي الحلبي. القاهرة.
- الضبي. "أبو العباس المفضل بن محمد ت ١٦٨هـ". (١٩٩٢). المفضليات. تحقيق؛ أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون. ط١. دار المعارف. القاهرة.
- ضيف، شوقي. سورة الرحمن وسور قصار عرض ودراسة. دار المعارف. مصر.
- الطبري. "أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ". (١٩٩٧). تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ط١. دار القلم. دمشق.
- عبد الباقي، محمد فؤاد. (١٩٩٤). المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ط٤. دار المعرفة. بيروت.
- عبد العال، عبد المنعم. (١٩٨٢). الشامل لجموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية. مكتبة غريب. القاهرة.
- علي، إبراهيم محمد. (٢٠٠١). اللون في الشعر العربي قبل الإسلام "قراءة ميثولوجية". جروس برس. طرابلس. لبنان.

- علي، جواد. (١٩٨٠). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ط٢. دار العلم للملايين. بيروت.
- القرطبي. "أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ت ٦٧١هـ". (٢٠٠٤). **الجامع لأحكام البيان**. دار ابن حزم. بيروت.
- قطب، سيد. (٢٠٠٤). في ظلال القرآن. دار الشروق. القاهرة. بيروت.
- القيس. "امرؤ القيس حلاج بن حجر ت ٨٠ق.هـ". (٢٠٠٣). ديوان امرئ القيس. دار المعرفة. بيروت.
- القيسي، نوري حمودي. الطبيعة في الشعر الجاهلي. دار الإرشاد. بيروت.
- الكرماني. "برهان الدين أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر ت ٥٠٥هـ". البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان. تحقيق؛ السيد الجميلي. مركز الكتاب للنشر. القاهرة.
- كفافي، منذر ذيب. (٢٠٠٦). الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشعرية دراسة في الشكل والمضمون. ط١. جدارا للكتاب العالمي. عالم الكتب الحديث.
- لوبون، غوستاف. (١٩٥٦). حضار العرب. ترجمة عادل زعيتر. ط٣. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة.
- المزني، معن بن أوس. (١٩٧٧). ديوان معن. تحقيق؛ نوري حمودي القيس. وحاتم صالح الضامن. دار الجاحظ. بغداد.
- الميداني. "أبو الفضل أحمد بن محمد ت ٥١٨هـ ". (١٩٨٧). مجمع الأمثال. ط٢. دار الجيل. بيروت.
- نبوي، عبد العزيز. المرأة في شعر الأعشى. دار الصدر لخدمات الطباعة. مدينة نصر.
- النيسابوري. "محمد بن عبد الله". المستدرك على الصحيحين. ط٢. مصطفى البابي. القاهرة.